دور الأسرة في تعزيز القيم الدينية والأخلاقية كوسيلة للوقاية من المخدرات

عفاف إبراهيم رمضان قطوسة*
عضو هيئة التدريس، قسم علم الاجتماع، كلية التربية، جامعة الزاوية، ليبيا
البريد الالكتروني: afafgatusa@gmail.com
تاريخ الارسال 2025/9/5م تاريخ القبول 2025/10/9م

The Role of the Family in Promoting Religious and Moral Values as a Means of Preventing Drug Abuse

Afaf Ibrahim Ramadan Qattousa
Department of Sociology, Faculty of Education, University of Zawiya, Libya

Abstract

The study aimed to identify the role of the family in promoting religious and moral values as a means of preventing drug abuse. Specifically, it examined the extent to which the family contributes to instilling religious values in children as a protective factor against drug use, the role of moral education within the family in shaping children's behavior toward drugs, the family-related factors that strengthen or weaken the family's effectiveness in drug prevention, and the impact of the parent-child relationship on the family's ability to safeguard children from drug abuse. The descriptive method was employed as it is suitable for the purposes of the study.

The study reached the following findings:

-The family plays a fundamental role in instilling religious values in children, which foster internal awareness and self-regulation, forming a psychological and moral shield against behavioral deviations.

-Moral education within the family constitutes a cornerstone in shaping children's attitudes and behaviors toward drugs.

-The effectiveness of the family in preventing drug use among children is influenced by several familial factors, including the level of family stability, parenting style, parents' awareness, and patterns of communication within the family.

-The nature of the parent-child relationship is a decisive factor in the family's ability to protect its children from drug abuse.

Keywords:

Family role; Religious and moral values; Drug prevention.

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور الأسرة في تعزيز القيم الدينية والأخلاقية كوسيلة للوقاية من المخدرات وذلك من خلال التعرف على مدى إسهام الأسرة في غرس القيم الدينية لدى الأبناء كوسيلة للوقاية من تعاطي المخدرات، والتعرف على دور التربية الأخلاقية داخل الأسرة في تشكيل سلوك الأبناء تجاه المخدرات، وكذلك التعرف على العوامل الأسرية التي تعزز أو تُضعف من فاعلية دور الأسرة في الوقاية من المخدرات، وأخيرا التعرف على كيفية انعكاس طبيعة العلاقة بين الأبوين والأبناء على قدرة الأسرة في تحصينهم ضد تعاطي المخدرات، واتبعت المنهج الوصفي لملائمته لأغراض الدراسة.

وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

-إن الأسرة تلعب دورًا جوهريًا في غرس القيم الدينية في نفوس الأبناء، حيث تسهم هذه القيم في بناء وعي داخلي وضوابط ذاتية تُشكل حصانة نفسية وأخلاقية ضد الانحرافات السلوكية.

-إن التربية الأخلاقية داخل الأسرة تُعد من المرتكزات الأساسية في تشكيل اتجاهات الأبناء وسلوكهم تجاه المخدرات.

-إن فاعلية الأسرة في الوقاية من تعاطي الأبناء للمخدرات تتأثر بعدة عوامل أسرية، منها: مستوى الاستقرار الأسري، أسلوب التربية المتّبع، وعي الوالدين، ونمط التواصل داخل الأسرة.

- إن طبيعة العلاقة بين الأبوين والأبناء تُعد عاملاً حاسمًا في مدى قدرة الأسرة على تحصين أبنائها ضد المخدرات.

الكلمات المفتاحية:

دور الأسرة؛ القيم الدينية والأخلاقية؛ الوقاية من المخدرات.

المقدمة:-

تُعد الأسرة النواة الأساسية في بناء المجتمعات، واللبنة الأولى في تشكيل شخصية الفرد وصياغة سلوكياته واتجاهاته، فهي ليست مجرد إطار اجتماعي يجمع أفرادًا تربطهم صلة الدم بل هي المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الإنسان مبادئ التربية، وأسس الأخلاق، وتعاليم الدين وقواعد التعامل مع الذات والآخر، ومن هذا المنطلق، فإن للأسرة دورًا محوريًا في غرس القيم الدينية والأخلاقية، والتي تُعد بمثابة خطوط

دفاع داخلية تحصّن الفرد من الانحراف والانزلاق في دوامات السلوكيات الخطرة، وفي مقدمتها تعاطي المخدرات.

ولقد أصبح خطر المخدرات من أبرز التحديات الاجتماعية التي تواجه المجتمعات الحديثة بما تحمله من آثار مدمرة على الصحة النفسية والجسدية للفرد، وعلى تماسك الأسرة واستقرارها وعلى الأمن الاجتماعي والاقتصادي للدولة، وتتعدد أسباب الوقوع في هذه الآفة، ومنها ما يرتبط بالضغوط النفسية، والتأثر برفاق السوء، والفراغ الروحي، وضعف الرقابة الأسرية، وغياب القيم التربوية التي تردع الانحراف، وهنا تتجلى أهمية الأسرة بوصفها الجهة الأقدر على غرس القيم منذ المراحل الأولى من حياة الطفل، وترسيخ الضوابط السلوكية من منطلق ديني وأخلاقي.

وإن القيم الدينية، المستمدة من تعاليم الإسلام، تشكل أساسًا راسخًا في بناء الضمير الإنساني، وتوجه الفرد نحو الالتزام، وتحذّره من الوقوع في المحرمات، ومنها تعاطي المخدرات التي نهى عنها الشرع لما فيها من ضرر عظيم، وكما أن القيم الأخلاقية، كالصبر، وضبط النفس، وتحمل المسؤولية، والصدق، والاحترام، تعزز قدرة الفرد على اتخاذ قرارات سليمة ومواجهة الضغوط والانحرافات السلوكية، ولأن الأسرة هي المصدر الأول لتعليم هذه القيم، فإنها تتحمل مسؤولية كبيرة في الوقاية من المخدرات من خلال توجيه الأبناء، ومراقبتهم، وتوفير بيئة آمنة قائمة على المحبة، والاحترام، والحوار البنّاء.

ومن خلال الدور التربوي للأبوين، يمكن ترسيخ مفهوم القدوة الحسنة، فحين يرى الأبناء سلوكيات والديهم تنسجم مع ما يدعون إليه من قيم دينية وأخلاقية، يكون لذلك أبلغ الأثر في بناء شخصية متوازنة وسوية، وكما تبرز أهمية الحوار داخل الأسرة، وتوفير مساحة آمنة للتعبير عن المشاعر والمشكلات، ومما يقلل من احتمالية لجوء الأبناء إلى المخدرات كوسيلة للهروب من واقعهم أو للتعامل مع الضغوط ولقد أثبتت العديد من الدراسات النفسية والاجتماعية أن غياب دور الأسرة في التربية الدينية والأخلاقية يُعد من العوامل الرئيسية في انتشار تعاطي المخدرات، خاصة في مرحلة المراهقة التي تتميز بالحساسية الشديدة والتأثر السريع بالمحيط وعلى العكس من ذلك، فإن الأسر التي تولي اهتمامًا لتنشئة أبنائها تنشئة دينية وأخلاقية سليمة، تقل فيها نسب الانحراف والإدمان بصورة ملحوظة.

وبناءً على ما سبق تتضح أهمية هذا البحث الذي يهدف إلى تسليط الضوء على دور الأسرة في تعزيز القيم الدينية والأخلاقية كوسيلة للوقاية من المخدرات، وذلك من

خلال تحليل الأدوار التربوية للأبوين، وبيان أثر غرس القيم في تشكيل سلوك الأبناء، وكما يسعى البحث إلى تقديم توصيات عملية تسهم في تفعيل دور الأسرة في التصدي لهذه الظاهرة المتفاقمة، إيمانًا بأن الوقاية الحقيقية تبدأ من البيت، وبأن التربية الواعية هي السلاح الأقوى في محاربة الإدمان.

أولاً- مشكلة الدراسة:

تشكل المخدرات في العصر الحديث تهديدًا حقيقيًا لبنية المجتمعات واستقرارها، فهي لا تقتصر في أضرارها على الفرد المتعاطي فحسب، بل تمتد لتطال الأسرة والمجتمع بأسره، لما تحمله من آثار سلبية على مختلف المستويات الصحية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية والأمنية، وقد تزايدت خطورة هذه الآفة في العقود الأخيرة، لا سيما مع توسع انتشارها بين فئة الشباب، التي تُعد الفئة الأكثر حساسية وتأثرًا بالعوامل المحيطة، والأكثر عرضة للتجربة والانحراف نتيجة غياب التوجيه وضعف القيم.

وسط هذه التحديات تحتل الأسرة موقعًا محوريًا في مواجهة هذه الظاهرة، فهي الحاضنة الأولى للفرد، والبيئة التربوية الأساسية التي يتشكل فيها وعيه، وتُبنى فيها شخصيته، وتبرز أهمية الأسرة في هذا السياق من خلال قدرتها على تعزيز القيم الدينية والأخلاقية، التي تمثل حصانة داخلية للفرد، وتحد من احتمالية وقوعه في سلوكيات خطرة مثل تعاطي المخدرات فالدين لا يقتصر على أداء الشعائر، بل يشكل منظومة قيمية متكاملة تُعزز الضبط الذاتي، وتوجه السلوك، وتغرس في النفس مخافة الله، والحرص على الطهارة الجسدية والعقلية، والابتعاد عن كل ما من شأنه أن يهلك الإنسان أو يضعفه وفي المقابل تشكل القيم الأخلاقية جانبًا لا يقل أهمية، فهي الإطار السلوكي الذي يضبط علاقة الفرد بنفسه وبالآخرين، ويُكسبه مهارات اتخاذ القرار، ومواجهة الضغوط، والتمييز بين الخطأ والصواب، وهاتان المنظومتان، الدينية والأخلاقية لا يمكن أن تنشأ وتترسخ بمعزل عن الأسرة، بل إن غرسهما يبدأ من السنوات الأولى من عمر الطفل، ويتعزز مع الزمن من خلال القدوة، والتوجيه، والمرافقة التربوية ومع ذلك يلاحظ في واقع كثير من المجتمعات العربية والإسلامية وجود فجوة ملحوظة في أداء الأسرة لهذا الدور، نتيجة مجموعة من العوامل، منها: ضعف الوعي التربوي، انشغال الوالدين عن الأبناء، غياب الحوار الأسري، التأثر بالثقافات الوافدة، أو الاعتماد الكلي على المدرسة والمؤسسات الخارجية في التربية، وكما أن مظاهر التفكك الأسري، والعنف المنزلي، وغياب القيم داخل البيت، تُعد من أهم المسببات التي تُضعف مقاومة الأبناء تجاه المخدرات، وتجعلهم فريسة سهلة لها.

وتُشير العديد من الدراسات الميدانية إلى أن الأسرة التي تركز على الجانب السلوكي دون الاهتمام بالتكوين القيمي والديني، أو التي تعتمد على العقاب فقط دون تربية داخلية راسخة تكون أكثر عرضة لأن ينحرف أحد أفرادها، حتى في ظل وجود رقابة ظاهرية، وأما الأسرة التي تتعامل مع الأبناء بلغة القيم، وتقدم لهم القدوة، وتربط سلوكهم بالوازع الديني والأخلاقي، فإنها تسهم بشكل كبير في تحصينهم، ليس فقط من المخدرات، بل من مختلف الانحرافات السلوكية

وبناءً على ذلك فإن مشكلة هذه الدراسة تتمحور حول ضعف أو قصور دور بعض الأسر في تعزيز القيم الدينية والأخلاقية لدى الأبناء كوسيلة وقائية ضد تعاطي المخدرات، وهو ما يؤدي إلى اتساع الفجوة بين ما ينبغي أن تقوم به الأسرة، وبين ما تمارسه في الواقع وتكمن خطورة المشكلة في كونها ترتبط بمرحلة زمنية دقيقة في حياة الأبناء، وهي مرحلة المراهقة والشباب، التي تتميز بتقلبات فكرية ونفسية وسلوكية، تجعل من تعزيز القيم حصنًا أساسيًا لا غنى عنه وإن هذه الإشكالية تفتح المجال أمام أهمية دراسة العوامل المؤثرة في هذا الدور الأسري، وبيان مدى فاعليته، وتقديم توصيات عملية تُمكّن الأسر من استعادة موقعها الطبيعي في التنشئة، والمساهمة في مواجهة واحدة من أخطر التحديات الاجتماعية المعاصرة، وهي انتشار المخدرات.

ثانياً- تساؤلات الدراسة:

1-ما مدى إسهام الأسرة في غرس القيم الدينية لدى الأبناء كوسيلة للوقاية من تعاطي المخدرات؟

2-ما دور التربية الأخلاقية داخل الأسرة في تشكيل سلوك الأبناء تجاه المخدرات؟

3-ما العوامل الأسرية التي تعزز أو تُضعف من فاعلية دور الأسرة في الوقاية من المخدرات؟

4-كيف تنعكس طبيعة العلاقة بين الأبوين والأبناء على قدرة الأسرة في تحصينهم ضد تعاطي المخدرات

ثالثاً-أهداف الدراسة:

1-التعرف على مدى إسهام الأسرة في غرس القيم الدينية لدى الأبناء كوسيلة للوقاية من تعاطي المخدرات.

2-التعرف على دور التربية الأخلاقية داخل الأسرة في تشكيل سلوك الأبناء تجاه المخدرات.

3-التعرف على العوامل الأسرية التي تعزز أو تُضعف من فاعلية دور الأسرة في الوقاية من المخدرات.

4-التعرف على كيفية انعكاس طبيعة العلاقة بين الأبوين والأبناء على قدرة الأسرة في تحصينهم ضد تعاطي المخدرات.

رابعاً- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

الأهمية النظرية:

1-توسيع قاعدة المعرفة حول العلاقة بين التربية الأسرية والقيم الدينية والأخلاقية من جهة، والوقاية من تعاطي المخدرات من جهة أخرى.

2-إثراء الأدبيات العلمية بالدراسات التي تربط بين دور الأسرة والتنشئة القيمية في مواجهة الإدمان.

3-تقديم إطار نظري شامل يوضح تأثير القيم الدينية والأخلاقية على السلوكيات المنحرفة، خاصة تعاطي المخدرات.

4-المساهمة في تطوير المفاهيم التربوية والنفسية المتعلقة بدور الأسرة في بناء شخصية متوازنة قادرة على مقاومة الضغوط السلبية.

الأهمية التطبيقية:

1-مساعدة الأسر في فهم أهمية تعزيز القيم الدينية والأخلاقية لدى الأبناء كخطوة وقائية فعالة ضد المخدرات.

2-تقديم توصيات عملية للأسر والمربين حول أفضل الأساليب التربوية التي تدعم الوقاية من الإدمان.

3-توفير مرجعية للمؤسسات التربوية والاجتماعية لوضع برامج توعوية تستند إلى دور الأسرة والقيم.

4-دعم صانعي السياسات في تصميم استراتيجيات وطنية تركز على الأسرة كمحور رئيسي في مكافحة تعاطي المخدرات.

خامساً- مفاهيم الدراسة:

تقتضي طبيعة هذا البحث توضيح المفاهيم الرئيسة المرتبطة بموضوعه، لضمان الدقة في الفهم والتحديد الإجرائي للمصطلحات المستخدمة.

1-دور الأسرة: هي الوحدة الاجتماعية الأساسية التي تتكون من مجموعة من الأفراد تجمعهم روابط الدم أو الزواج، وتقوم بدور رئيس في تنشئة الأبناء وتشكيل شخصياتهم، وتزويدهم بالقيم الاجتماعية والدينية والأخلاقية التي توجه سلوكهم.[1]

2- القيم الدينية: هي المبادئ والأخلاق التي تستمد من التعاليم الدينية التي توجه سلوك الفرد نحو الخير والصواب، وتحافظ على تماسك المجتمع وتحمي أفراده من الانحراف.[2]

3- القيم الأخلاقية: هي مجموعة من المبادئ والمعتقدات التي تحكم السلوك الإنساني، وتحدد ما هو صحيح وما هو خطأ، وتشكل ضمير الفرد الذي يحثه على التصرف بطريقة مسؤولة ومتزنة تجاه نفسه والآخرين.[3]

4- الوقاية من المخدرات: هي مجموعة من الإجراءات والتدابير التي تهدف إلى منع تعاطي المخدرات، وتقليل المخاطر المرتبطة بها من خلال التوعية، وتعزيز العوامل الوقائية الاجتماعية والنفسية، خاصة داخل الأسرة والمجتمع.[4]

ولتحقيق الأهداف السالفة الذكر قسمت الورقة البحثية إلى المحاور الرئيسة الآتية:

أولاً- إسهام الأسرة في غرس القيم الدينية لدى الأبناء كوسيلة للوقاية من تعاطي المخدرات:

تلعب الأسرة دورًا محوريًا في بناء شخصية الأبناء وتشكيل سلوكهم منذ نعومة أظفارهم، فهي الحضن الأول الذي يتلقى فيه الطفل قيمه الأولى ومفاهيمه الأساسية عن الخير والشر، الحلال والحرام، المقبول والمرفوض، وفي ظل تفشي ظاهرة المخدرات في كثير من المجتمعات، وامتدادها لتشمل فئات عمرية صغيرة، تزداد الحاجة لتفعيل دور الأسرة بشكل أكبر في تحصين أبنائها من هذه الآفة، من خلال غرس القيم الدينية التي تمثل أحد أهم وسائل الوقاية والتربية، فالقيم الدينية لا تقتصر على الشعائر أو الطقوس، بل تمتد لتشكل وجدان الطفل وضميره، وتصنع له بوصلة داخلية تُرشده إلى طريق الاستقامة، وتُحذره من الانحراف وحين ينشأ الطفل في أسرة تُمارس الدين لا كمجرد أداء ظاهري، بل كقيمة حقيقية في التعامل اليومي، فإن هذا الطفل يكتسب تلقائيًا مفاهيم الإيمان والمسؤولية والرقابة الذاتية، فالأسرة التي تواظب على الصلاة وتحرص على قراءة القرآن وتربية الأبناء على التوكل على الله، وتعلّمهم أن مراقبة الله أهم من مراقبة الناس، تغرس في نفوسهم حصانة داخلية ضد الوقوع في الانحراف، إن البيئة التي تكرّس القيم الدينية مثل الصدق، والعفة، والحياء، والأمانة، والرضا، والابتعاد عن المحرمات، تُسهم بشكل فعال في حماية الأبناء من الانجرار وراء مغريات الإدمان وتعاطي المخدرات الطفل الذي تربى على أن جسده أمانة، وأن

تعاطي المخدرات معصية لله، يطوّر جهازًا داخليًا للفرز الأخلاقي يجعله يرفض أي محاولة لجرّه إلى مستنقع الانحراف حتى في غياب الرقابة الأسرية المباشرة.(5)

ويُعتبر الحديث عن أهمية القيم الدينية في الوقاية من المخدرات غير مكتمل إذا لم يُربط بالسلوك العملي للوالدين داخل البيت، فالقيم لا تُلقّن نظريًا فقط، وإنما تُترسّخ عبر القدوة، إذ ينظر الأبناء إلى سلوك الوالدين باعتباره النموذج الذي يجب أن يُحتذى، فإذا كان الوالدان يحرصان على تطبيق ما يدعوان إليه من التزام وتديّن، فإن تأثيرهما في الأبناء يكون عميقًا ومستمرًا، وأما إذا وجد الطفل أن والده ينهى عن شيء ويفعله، أو أن والدته تدعو إلى الحياء وتتصرف عكسه، فإن ذلك يحدث شرخًا في منظومة القيم، ويفتح بابًا للتمرد والشك، ما قد يدفعه في مراحل لاحقة للبحث عن بدائل مؤقتة للهروب من التناقض، ومنها المخدرات، ولذلك فإن غرس القيم الدينية لا يتحقق إلا إذا كانت الأسرة بكامل أفرادها تعيش هذه القيم سلوكًا قبل أن تُدرّسها للأبناء تعليمًا وكما أن وجود علاقة عاطفية قوية بين الوالدين والأبناء يُعد من أبرز ركائز غرس القيم الدينية، فالطفل لا يتعلم فقط من خلال التلقين، بل من خلال الحب والشعور بالأمان، الأسرة التي تعطي أبناءها الوقت والاهتمام وتستمع إليهم وتمنحهم فرصة التعبير عن مشاعرهم، تخلق جسرًا من الثقة يجعل الأبناء أكثر تقبلًا للتوجيه والنصح، وفي هذه البيئة العاطفية المتوازنة، ويمكن للوالدين أن يزرعا مفاهيم مثل مخافة الله، والإحساس بالذنب عند الخطأ، والرجوع إلى الله بالتوبة، كوسائل دينية ووجدانية تساعد الأبناء على تجنب المخاطر بما فيها المخدرات، فالأبناء الذين يشعرون أن والديهم يفهمونهم ويقفون بجانبهم في الأزمات، لا يلجؤون إلى أصدقاء السوء أو إلى الهروب النفسي عبر المخدرات، بل يصبحون أكثر ميلًا للثبات والاعتدال.(6)

ومن جهة أخرى فإن أسلوب التربية العقابية القاسية أو الإهمال العاطفي يفتح المجال أمام فراغ نفسي قد يُملأ لاحقًا بمحاولات التعاطي للهروب من الواقع، فالقيم الدينية لا تُزرع في بيئة يسودها القهر أو الخوف، وإنما تحتاج إلى بيئة يسودها الحب والحوار والاحترام المتبادل، وكما أن التربية على الطاعة العمياء دون فهم أو قناعة تجعل من السهل سقوط الأبناء لاحقًا في هوة التجربة، خاصة إذا لم تُبنَ لديهم قدرة على التمييز أو اتخاذ القرار، ولذلك لا بد للأسرة من أن تُشرك الأبناء في الحوار، وتفتح أمامهم أبواب التساؤل والبحث، وتُعلّمهم أن الالتزام الديني ليس عبئًا أو عائقًا، بل هو حماية لهم في مواجهة تيارات الانحراف ولأن الوقاية من المخدرات تتطلب فهماً متكاملاً للدين والحياة، فإن غرس القيم الدينية لا يعني الاقتصار على تعليم الأبناء

الصلاة أو الصوم فحسب، بل يشمل أيضًا تنمية وعيهم بآثار المخدرات النفسية والجسدية والاجتماعية والدينية. فعندما يعلم الابن أن تعاطي المخدرات يُفسد العقل، وهو مناط التكليف، ويُعرّض الجسد للهلاك، ويُوقع الإنسان في المحرمات، ويدمّر العلاقات الاجتماعية، فإن قناعته برفض المخدرات تصبح نابعة من داخله لا مفروضة عليه من الخارج وهذا هو جوهر القيم الدينية، إذ تُشكّل درعًا وقائيًا داخليًا يدفع الإنسان لاجتناب المعصية حبًا لله وخوفًا من غضبه، وليس فقط خوفًا من العقوبة وتؤكد العديد من الدراسات النفسية والاجتماعية أن الأبناء الذين تربّوا في أسر متدينة يتمتعون بقدر أكبر من التوازن النفسي، والقدرة على التعامل مع الضغوط، واحترام الذات، والوعي بالمخاطر، ما يقلل بشكل كبير من فرص انجرافهم نحو المخدرات و أن وجود روابط دينية بين الأسرة ومحيطها الاجتماعي، كالمسجد أو المراكز الدينية، يُعزّز الشعور بالانتماء ويُوفر للأبناء بيئة آمنة بديلة عن بيئات الانحراف ولهذا فإن تفعيل دور الأسرة في غرس القيم الدينية لا يُعد ترفًا، بل هو ضرورة مجتمعية للحفاظ على الأبناء من خطر المخدرات الذي يُهدّد حاضرهم ومستقبلهم.[7]

مما سبق يمكن القول إن الأسرة الواعية التي تدرك أن التربية الدينية ليست مهمة موسمية أو آنية، وإنما مشروع حياة مستمر، هي القادرة على صناعة أجيال محصّنة من الداخل، تمتلك مناعة ذاتية ضد الانحراف، وتملك وعيًا راسخًا بخطورة المخدرات فالدين حين يُغرس في النفس بصدق، ويُجسَّد في الحياة بسلوك، يصبح أكبر حامٍ من كل سلوك مدمّر، وتغدو الأسرة بذلك خط الدفاع الأول في معركة الحفاظ على القيم والكرامة الإنسانية.

ثانياً- دور التربية الأخلاقية داخل الأسرة في تشكيل سلوك الأبناء تجاه المخدرات":

تُعد الأسرة المؤسسة التربوية الأولى التي يتلقّى فيها الطفل مبادئ السلوك والأخلاق، وهي المحضن الذي تتكوّن فيه شخصية الفرد منذ سنواته الأولى، ويتشرّب من خلاله القيم التي تحدد نظرته لنفسه وللعالم من حوله، وإن التربية الأخلاقية داخل الأسرة لا تقتصر على تعليم الأبناء التفرقة بين الخطأ والصواب نظريًا، بل تتعدى ذلك لتشمل غرس المبادئ الأخلاقية في السلوك اليومي، وتقديم نموذج واقعي يُحتذى من خلال الأفعال أكثر من الأقوال، فحين ينشأ الطفل في بيئة أسرية تتسم بالعدل والاحترام والصدق والاتزان في العلاقات والتعاملات، فإنه يتشرّب هذه القيم ويجعلها معيارًا لسلوكياته في المواقف المختلفة، الأسرة المتزنة أخلاقيًا تساهم في بناء ضمير حي لدى الطفل، وتمكّنه من أن يمتلك وعيًا ذاتيًا يوجهه نحو الصواب، ويمنعه من الانحراف حتى في غياب الرقابة المباشرة.

وفي هذا السياق تبرز العلاقة الوثيقة بين التربية الأخلاقية في الأسرة وسلوك الأبناء تجاه تعاطي المخدرات، فالمخدرات بطبيعتها تمثل حالة من الانفلات القيمي، والانهيار في منظومة المبادئ التي تضبط السلوك الإنساني، وبالتالي فإن التربية التي تُرسّخ مبادئ احترام الذات والامتناع عن إيذاء النفس والآخرين، وتحفّز على تبني أسلوب حياة سليم ومسؤول، تساهم بشكل مباشر في بناء مقاومة داخلية لدى الأبناء تجاه تعاطي المواد المخدّرة، وإن الأبناء الذين نشأوا في أسر تغرس فيهم قيمة الكرامة، وتعلّمهم أن العقل أمانة، وأن الجسد مسؤولية، يكونون أقل عرضة للوقوع في دائرة المخدرات، لأنهم ينظرون إلى التعاطي لا فقط بوصفه خطرًا صحيًا أو قانونيًا، بل باعتباره إهانة لكرامتهم وانحرافًا عن القيم التي نشأوا عليها، وبهذا المعنى تتحول التربية الأخلاقية إلى وقاية ذاتية تُشكّل درعًا داخليًا لا يعتمد فقط على الرقابة الخارجية أو العقوبات المجتمعية.(8)

والأسرة التي تمارس التربية الأخلاقية بشكل فعّال لا تكتفي بإصدار الأوامر أو التحذيرات، بل تعتمد على بناء علاقة تواصل إيجابية مع الأبناء، تقوم على الحب والاحترام والثقة، وهذا النوع من العلاقة يُتيح للطفل أن يُعبّر عن مشاعره وهواجسه دون خوف، ويشعر بأنه مقبول ومفهوم من قبل أسرته، مما يُقلل من احتمالية لجوئه إلى تعاطي المخدرات كوسيلة للهروب من الضغط أو الشعور بالنقص أو التمرد على السلطة، وكما أن هذه العلاقة المتينة بين الوالدين وأبنائهم تُسهّل على الأسرة اكتشاف التغيرات السلوكية في وقت مبكر، وتُمكّنها من التدخّل الإيجابي قبل تفاقم المشكلة، وعلى النقيض من ذلك فإن الأسرة التي تتبنى أسلوبًا قاسيًا أو متسلطًا أو مهملًا تزرع في نفس الطفل مشاعر الغضب أو النقص أو الفراغ العاطفي، وهي عوامل تمثل أرضًا خصبة لانجذاب الأبناء إلى سلوكيات منحرفة مثل تعاطي المخدرات، ومن هذا المنطلق فإن التربية الأخلاقية لا تُبنى فقط على ما يُقال، وإنما على نوعية العلاقة التي تُؤسّس بين أفراد الأسرة ومدى ما تخلقه من أمان نفسي واستقرار عاطفي والجانب الآخر المهم في العلاقة بين التربية الأخلاقية والمخدرات يتمثل في قدرة الأسرة على تنمية الرقابة الذاتية لدى الأبناء، فالتربية التي تُعلّم الأبناء أن الضمير هو الحَكم الأول، وأن الاستقامة سلوك نابع من الداخل لا من الخوف من الخارج، تزرع فيهم قوة داخلية تجعلهم يرفضون كل سلوك مشين أو مؤذٍ حتى في أكثر البيئات انفتاحًا أو انحرافًا، الأبناء الذين يُربّون على تحمل المسؤولية، والصدق مع الذات، واحترام الآخر، والاعتراف بالخطأ، يتمتعون بقدرة أكبر على مقاومة الضغوط التي قد تؤدي بهم إلى تعاطي المخدرات، فهم يمتلكون حسًا أخلاقيًا ناضجًا يمكنهم من اتخاذ قرارات صائبة

حتى تحت الإغراء أو التأثير، هذه التربية الأخلاقية المتزنة تتطلب من الأسرة حضورًا دائمًا في حياة الأبناء، ومتابعة حثيثة لحالتهم النفسية، وتشجيعًا مستمرًا لهم على الحوار والتعبير.(9)

ولا يمكن إغفال أهمية القدوة في التربية الأخلاقية، إذ إن ما يراه الأبناء من سلوك الوالدين هو ما يُترجم في وجدانهم إلى حقيقة ملموسة حول القيم التي يتلقونها، فإذا نشأ الطفل في بيئة يتحدث فيها الأب عن أهمية الصدق، لكنه يمارس الكذب، أو تحث الأم على ضبط النفس لكنها تنفعل لأبسط الأسباب، فإن الرسائل المتناقضة تُضعف من أثر التربية الأخلاقية، وتجعل القيم تبدو كلامًا أجوف لا يُطبق في الواقع، وأما حين يرى الطفل انسجامًا بين القول والفعل، فإنه يكتسب ثقة بالقيم، ويشعر أنها جزء أصيل من الحياة اليومية وليست شعارات تُرفع فقط في المناسبات أو في أوقات المحاسبة، وهذه الثقة هي التي تُشكّل القاعدة المتينة التي يرتكز عليها البناء السلوكي للأبناء، وتُسهم في صنع شخصيات متزنة قادرة على مقاومة المغريات السلبية وعلى رأسها المخدرات ومن الضروري أن تدرك الأسرة أن الوقاية من المخدرات تبدأ من لحظة التأسيس الأخلاقي، وأن التحصين ضد هذه الآفة لا يتم فقط عبر التحذير منها، بل من خلال بناء عقلية نقدية لدى الأبناء، وتمكينهم من التمييز بين ما هو ضار ونافع، وتشجيعهم على التفكير المستقل واتخاذ القرار الصائب بناءً على قناعات أخلاقية داخلية فالمخدرات كثيرًا ما تدخل إلى حياة الأبناء من باب التجربة، أو التقليد، أو التمرد، أو الرغبة في الهروب من الواقع، وكل هذه الدوافع يُمكن تفاديها إذا ما نشأ الطفل في أسرة تمنحه الحب، وتزوّده بالقيم، وتُعزّز ثقته بنفسه، وتُهيئ له بيئة صحية متوازنة نفسيًا وعاطفيًا واجتماعيًا، فكما أن الأسرة هي أول من يضع اللبنات الأساسية في شخصية الأبناء، فهي كذلك أول من يمكنه أن يرصد مؤشرات الخطر، ويُسهم في التوجيه والتقويم والتربية الأخلاقية داخل الأسرة إذًا ليست ترفًا فكريًا أو رفاهية تربوية، بل هي حاجة أساسية، وسلاح فعّال في وجه تحديات العصر، وعلى رأسها خطر المخدرات الذي بات يهدد المجتمعات من الداخل، وحين تضع الأسرة الأخلاق في قلب العملية التربوية، وتُعلّم أبناءها كيف يعيشون القيم لا فقط كيف يتحدثون عنها، فإنها بذلك لا تحميهم فقط من المخدرات، بل تضعهم على طريق النجاح والتمكّن في حياتهم، وفي ضوء ذلك فإن أي استراتيجية وطنية لمكافحة الإدمان لا بد أن تبدأ من دعم الأسرة وتثقيفها وتوجيهها نحو أساليب التربية الأخلاقية السليمة، لأن الوقاية الفعالة تبدأ من البيت، ومن العلاقة اليومية بين الوالدين وأبنائهم. (10)

مما سبق تلعب التربية الأخلاقية داخل الأسرة دوراً محورياً في تشكيل سلوك الأبناء تجاه المخدرات، فهي تمثل خط الدفاع الأول في غرس القيم الدينية والاجتماعية التي تحصّنهم من الانحراف فالأبناء الذين ينشأون في بيئة أسرية قائمة على الحوار والتوجيه الأخلاقي السليم يكونون أكثر وعياً بمخاطر المخدرات وأقدر على مقاومة الضغوط السلبية و تسهم القدوة الحسنة التي يقدمها الوالدان في ترسيخ سلوكيات إيجابية تبعد الأبناء عن رفقاء السوء ومن خلال تعزيز مفاهيم المسؤولية والانضباط والرقابة الذاتية، تساعد التربية الأخلاقية الأبناء على اتخاذ قرارات رشيدة تحميهم من الوقوع في الإدمان.

ثالثاً- العوامل الأسرية التي تعزّز أو تُضعف من فاعلية دور الأسرة في الوقاية من المخدرات":

تمثل الأسرة النواة الأولى التي تتشكل فيها ملامح شخصية الفرد، وتنغرس فيها أولى بذور القيم والاتجاهات والسلوكيات التي تصاحبه طوال مراحل حياته، ولذلك فإنها تحتل موقعًا مركزيًا في الوقاية من الظواهر السلبية التي قد تواجه الأبناء، وعلى رأسها آفة تعاطي المخدرات، الأسرة لا تُعد فقط مصدر الرعاية الجسدية، بل هي أيضًا مصدر التربية النفسية والوجدانية والسلوكية، ومتى ما اضطلعت بهذا الدور بفاعلية، فإنها تسهم في بناء أبناء يمتلكون مناعة داخلية ضد الإغراءات والانحرافات السلوكية، غير أن هذه الفاعلية قد تتفاوت من أسرة لأخرى بحسب عدة عوامل، بعضها يعزّز قدرتها الوقائية، وبعضها الآخر يُضعف هذا الدور ويجعله قاصرًا عن التأثير الحقيقي، إن فهم هذه العوامل أمر جوهري لأي مقاربة اجتماعية أو تربوية تسعى للحد من انتشار المخدرات أو لمعالجة آثارها داخل المجتمع.

ومن العوامل التي تُعزز فاعلية الأسرة في الوقاية من المخدرات توفر الاستقرار الأسري، حيث يُعد الاستقرار البيئي والنفسي داخل الأسرة شرطًا أساسيًا لنمو الأبناء في بيئة آمنة ومطمئنة فالأسرة المستقرة، التي تسودها العلاقات المتوازنة والاحترام المتبادل بين الوالدين، توفر نموذجًا صحيًا في التعامل والحوار، مما ينعكس إيجابيًا على سلوك الأبناء ويمنحهم ثقة في الذات وشعورًا بالانتماء، وهذا الشعور بالانتماء يُعد واحدًا من أقوى خطوط الدفاع النفسي ضد الانحراف، لأن الأبناء حين يشعرون أنهم محبوبون ومفهومون ومقبولون داخل الأسرة، يقل احتياجهم للبحث عن مصادر أخرى للقبول أو التقدير، وهي غالبًا ما تكون محفوفة بالمخاطر مثل جماعات الأقران المنحرفة، وعلى النقيض من ذلك فإن غياب الاستقرار الأسري الناتج عن كثرة الخلافات أو الطلاق أو العنف المنزلي يولّد مناخًا مضطربًا يؤثر سلبًا في توازن

الأبناء النفسي، ويدفعهم للبحث عن مهرب أو ملاذ خارجي، قد يتمثل في تعاطي المواد المخدّرة كوسيلة للهروب من التوتر أو التعبير عن الرفض وكذلك فإن نوعية العلاقة بين الوالدين والأبناء تلعب دورًا محوريًا في تعزيز أو إضعاف الدور الوقائي للأسرة، فحين تقوم العلاقة على الحوار والتفهّم والثقة، يُصبح بإمكان الأبناء التعبير عن مشكلاتهم وهمومهم بحرية، وتزداد احتمالية التفاعل الإيجابي مع التوجيهات الأسرية، وكما يكون من الأسهل على الوالدين اكتشاف العلامات المبكرة لانحراف السلوك، وأما عندما تكون العلاقة قائمة على التسلّط أو الجفاء أو الإهمال، فإنها تفتح الباب للعزلة والتمرّد والبحث عن بدائل للحنان أو الاستقلال، وهذه البدائل قد تتجسد في أصدقاء السوء أو المواقف الخطرة فالتربية القسرية التي تفرض على الأبناء دون حوار أو نقاش تُضعف من قدرتهم على بناء وعي داخلي مستقل، بينما التربية التي تحترم شخصية الطفل وتمنحه مساحة للتعبير وتعلّمه تحمّل المسؤولية، تُسهم في بناء شخصية قوية قادرة على مقاومة الضغوط والمغريات.(11)

ومن العوامل الأخرى التي تؤثر على فاعلية الأسرة في الوقاية من المخدرات مدى وعي الوالدين بثقافة المخدرات وبطرق الوقاية النفسية والتربوية فالأسر التي تفتقر إلى المعرفة الكافية حول ماهية المواد المخدّرة، وأسباب الانجراف نحوها، ومؤشرات تعاطيها، قد لا تتمكن من اتخاذ التدابير الاستباقية اللازمة، بل قد تتأخر في التدخل حتى تصل الحالة إلى مراحل متقدمة يصعب السيطرة عليها، وإن الوالدين المطلعين والقادرين على المتابعة الواعية لسلوك أبنائهم يكونون أكثر استعدادًا للكشف المبكر والتوجيه الوقائي، لا من منطلق الخوف، بل من منطلق الوعي والمرافقة، و أن مستوى التعليم والثقافة داخل الأسرة يسهم في تشكيل مناخ معرفي يساعد الأبناء على تنمية إدراكهم بالأخطار التي تحيط بهم، وعلى تبنّي أساليب تفكير نقدي تجعلهم أكثر قدرة على رفض التعاطي حتى لو كان تحت ضغط الأصدقاء أو بدافع الفضول وأيضًا يُعد المستوى الاقتصادي من العوامل المؤثرة في دور الأسرة فمن جهة، قد يُتيح الاستقرار الاقتصادي للأسرة إمكانية توفير بيئة مريحة من حيث المعيشة والتعليم والترفيه، ومما يُقلل من الضغوط النفسية والمحفزات السلبية التي قد تدفع الأبناء نحو المخدرات ومن جهة أخرى، فإن الفقر الشديد أو البطالة قد يؤديان إلى انشغال الوالدين بتأمين الحاجات الأساسية، ما يقلل من وقت التواصل الفعلي مع الأبناء، كما قد يُعرّض الأبناء لمجالات احتكاك خطرة في بيئات غير صحية غير أن العامل الاقتصادي وحده لا يكفي لتفسير السلوك، فقد توجد أسر ميسورة تعاني من تفكك داخلي يؤدي إلى نفس النتائج السلبية، والعكس صحيح، مما يُشير إلى أن توازن

الأسرة القيمي والعاطفي هو العامل الحاسم، وليس الدخل المادي فقط و أن القيم الأسرية المعلنة والمُعاشة تُعد من المحددات الأساسية في مدى فعالية الأسرة في الوقاية من المخدرات، فالأسر التي تعيش تناقضًا بين ما تقوله وما تفعله تضعف من مصداقية القيم لدى الأبناء، وتُفقدهم البوصلة الأخلاقية التي تمكّنهم من مقاومة الانحراف أما الأسر التي تُمارس القيم عمليًا في تفاصيل الحياة اليومية مثل احترام الوقت، والنزاهة، وضبط السلوك، والانضباط في العادات، فإنها تُقدّم نموذجًا حيًا يحتذي به الأبناء في مواقفهم المختلفة، مما يعزز مناعتهم السلوكية ضد المخاطر ومنها المخدرات. ومن هنا تظهر أهمية الاتساق في التربية بين القول والفعل، وأثره الكبير في تشكيل وعي الأبناء واتجاهاتهم.[12]

ولا يمكن إغفال دور الأسرة في تنظيم أوقات الفراغ ومتابعة الأصدقاء والنشاطات الخارجية للأبناء، إذ أن الفراغ الطويل مع غياب التوجيه يشكّل بيئة خصبة للتجربة والانحراف، الأسرة الواعية تحرص على أن تملأ وقت أبنائها بالأنشطة الهادفة، وتُشجعهم على الانخراط في مجالات رياضية أو ثقافية أو تطوعية، ومما ينمّي فيهم شعورًا بالإنجاز والانتماء ويُقلل من احتمالية انسياقهم نحو تعاطي المخدرات، وكذلك فإن الحوار المستمر حول هذه القضايا دون اللجوء إلى التهديد أو التخويف يفتح وعي الأبناء على المخاطر بأسلوب عقلاني مقنع، ويجعلهم شركاء في القرار والسلوك، لا مجرد متلقّين للأوامر ومن جهة أخرى فإن التدين المعتدل داخل الأسرة يمثل عاملًا مساعدًا في الوقاية، حيث يساعد على بناء الضمير الأخلاقي ويُشجع على مراقبة الذات، ولكن حين يتحول التدين إلى تشدد أو تعصّب أو يُقدَّم بصورة منفّرة، فإنه قد يؤدي إلى نتائج عكسية تدفع بعض الأبناء إلى التمرد كنوع من الهروب من الضغط النفسي، و لذلك فإن التوازن في تقديم القيم، سواء الدينية أو الاجتماعية، وتقديمها بأسلوب محبب ومقنع، هو ما يحقق الأثر الوقائي المطلوب.[13]

وفي ضوء ما سبق يمكن القول إن دور الأسرة في الوقاية من المخدرات لا يتحقق بشكل فعّال إلا بتكامل مجموعة من العوامل، تبدأ من استقرار البنية الأسرية، وتمر بجودة العلاقة التربوية، وتصل إلى مستوى الوعي والتواصل والمتابعة والرعاية النفسية والعاطفية، وهذه العوامل مجتمعة لا تضمن فقط حماية الأبناء من المخدرات، بل تسهم في تكوين شخصية سوية قادرة على التفاعل الإيجابي مع المجتمع، ومحصّنة من الانحرافات السلوكية بفضل ما تلقته من تربية أسرية متوازنة وفاعلة.

رابعاً- انعكاسات العلاقة الوالدية على فاعلية الأسرة في تحصين الأبناء من تعاطي المخدرات:

تُعد العلاقة بين الأبوين والأبناء حجر الزاوية في البناء التربوي للأسرة، وهي العامل الأكثر تأثيرًا في تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكياته وتحديد مواقفه تجاه المثيرات الاجتماعية، سواء الإيجابية منها أو السلبية. فالعلاقة الأسرية لا تنشأ صدفة أو بقرابة الدم وحدها، بل تُبنى يومًا بعد يوم عبر التفاعل والتواصل والاحتواء والانتباه وتُشكل هذه العلاقة الأساس الذي يمكن من خلاله للأسرة أن تساهم بفاعلية في تحصين أبنائها ضد السلوكيات الخطرة، وعلى رأسها تعاطي المخدرات، حيث يُثبت الواقع والتجربة والدراسات أن طبيعة العلاقة بين الوالدين والأبناء تؤثر بشكل مباشر في مدى قابليتهم للانجراف نحو المخاطر أو مقاومتها حين تكون العلاقة بين الأبوين والأبناء قائمة على المحبة والثقة المتبادلة والتفهّم فإنها تخلق مناخًا نفسيًا آمنًا يُشعر الأبناء بالانتماء والقبول، ويُعزز من قدرتهم على التعبير عن مشاعرهم وتساؤلاتهم ومخاوفهم بحرية ووضوح. هذه العلاقة الوثيقة تفتح المجال أمام الأبناء للجوء إلى والديهم في أوقات الحيرة أو الضعف أو الحاجة، وهو ما يجعل الأسرة المرجع الأول والمصدر الأوثق للإجابة والدعم والتوجيه، وإن الأبناء في مثل هذه العلاقة لا يشعرون بالغربة داخل البيت، ولا يخافون من الحديث عن أفكارهم أو عن المواقف التي يتعرضون لها في محيطهم، وبما في ذلك العروض المشبوهة أو الضغوط الاجتماعية لتعاطي المخدرات، فالثقة التي تُبنى بين الطرفين تُشجع الأبناء على المصارحة قبل الوقوع في الخطأ، وتجعل من الآباء قادرين على التدخل في الوقت المناسب، لا عبر العنف أو الاتهام، بل من خلال التوجيه الهادئ والحوار الناضج القائم على الاحترام.[14]

وبالمقابل فإن العلاقة المتوترة أو المنقطعة أو المبنية على الصرامة القاسية أو الإهمال تُولّد فراغًا نفسيًا وعاطفيًا لدى الأبناء، وتدفعهم إلى البحث عن الاحتواء في مصادر أخرى قد تكون غير مأمونة أو خطرة، فحين يشعر الابن أن والده لا يُنصت إليه، أو أن والدته ترفض الحوار معه، أو أن أية محاولة للتعبير عن الرأي تُقابل بالاستهزاء أو الصد، فإنه يُغلق على نفسه ويبدأ بالانفصال التدريجي عن محيطه الأسري، وفي مثل هذه الحالات تُصبح الأسرة فاقدة للتأثير الحقيقي، وتفقد قدرتها على التوجيه والوقاية، لأن العلاقة التربوية التي تسمح بالتأثير الإيجابي قد تفككت أو غابت، وهذه الفجوة هي ما تستغلّه الجماعات المنحرفة أو أصدقاء السوء في جذب

الأبناء إلى بيئات غير آمنة، حيث تُقدّم المخدرات أحيانًا كوسيلة للقبول أو الهروب أو التمرد، خاصة حين يشعر الأبناء أن لا أحد يهتم بما يشعرون أو يفكرون أو يعانون.

العلاقة السليمة بين الأبوين والأبناء ليست علاقة مثالية خالية من الخلافات أو التحديات، بل هي علاقة تتّسم بالمرونة والنضج والتفاعل الإنساني الذي يقبل الاختلاف دون أن يتحول إلى صراع، ويُدرك احتياجات كل طرف دون أن يُهمل حدود المسؤولية، فالتوازن في العلاقة هو ما يُنتج تربية فعالة، والتوازن هنا يعني ألا يتحول الحب إلى تدليل مفرط يُضعف من قدرة الأبناء على تحمّل المسؤولية، وألا تتحول الحزم إلى قسوة تفقدهم الشعور بالأمان، فالتربية الناجحة تقوم على قاعدة من المحبة المشروطة بالتوجيه، والتواصل المستمر المبني على الاستماع بصدق لا بمجرد إصدار الأوامر أو الأحكام، وهذا النوع من العلاقة يُكسب الأبناء مهارات نفسية واجتماعية تجعلهم أكثر قدرة على المقاومة والتصدي للمغريات السلبية مثل تعاطي المخدرات

وأن الأدوار المتكاملة بين الأب والأم تلعب دورًا محوريًا في ترسيخ هذا النوع من العلاقة التربوية الفعّالة، فحين يكون الوالدان متعاونَين في التربية، ويُظهران توافقًا في القيم والمواقف، فإن ذلك يُعزّز من ثبات الرسائل التربوية ويمنح الأبناء نموذجًا واضحًا يُحتذى، وأما حين يسود التناقض أو التضاد بين الوالدين، بحيث يُعطي أحدهما توجيهًا ويتناقض الآخر معه، فإن ذلك يُربك الأبناء ويُضعف من سلطة الأسرة الأخلاقية، ويُشجّع على التلاعب أو الانسياق وراء التأثيرات الخارجية، فالتربية ليست مسؤولية فردية بل شراكة وجدانية وتربوية يُسهم فيها كل من الأب والأم، ويتحمّلان معًا مسؤولية توفير الإطار النفسي والسلوكي الذي يحصّن أبناءهما من المخاطر.[15]

ومن جهة أخرى تُشير الدراسات إلى أن وجود علاقة متينة بين الأبوين والأبناء يُمكّن الأسرة من التدخل المبكر في حال ظهور أي مؤشرات سلوكية تدل على احتمال تعاطي المخدرات، إذ أن القرب النفسي والعاطفي من الأبناء يُتيح ملاحظة التغيرات المزاجية أو السلوكية، ويُسهل التواصل معهم لمعرفة الأسباب الحقيقية لما يمرّون به، وهذا الكشف المبكر يمنح الأسرة فرصة للتعامل مع المشكلة في بداياتها، ويُقلّل من احتمالات تفاقمها، بخلاف الحالات التي لا تربط فيها الأبناء علاقة حقيقية مع أسرهم، والتي غالبًا ما تكتشف تعاطي الأبناء بعد فوات الأوان العلاقة الإيجابية تسمح للأسرة بأن تكون خط الدفاع الأول لا الأخير، وتُسهم في بناء مناعة ذاتية لدى الأبناء تجعلهم يرفضون المخدرات لا فقط خوفًا من العقاب، بل إيمانًا منهم بقيم تربّوا عليها داخل أسرة تحبهم وتحترمهم وتثق بهم ولا يمكن الحديث عن علاقة صحية بين الأبوين

والأبناء دون الإشارة إلى دور الحوار الأسري بوصفه الوسيلة الأهم في تفعيل هذه العلاقة، فالحوار ليس مجرد كلام يُقال داخل الأسرة، بل هو أسلوب حياة يُعزّز الشعور بالمشاركة والمسؤولية، ويُعطي للأبناء الحق في التعبير عن آرائهم والتفكير بصوت مرتفع دون خوف أو إدانة، الأسرة التي تُدير حوارًا حقيقيًا مع أبنائها تُدرّبهم على اتخاذ القرار، وتُعلمهم كيفية تقييم المواقف، وتُكسبهم مناعة فكرية ضد التأثيرات السلبية مثل هذه التربية تُنتج أفرادًا لديهم وعي كافٍ يُمكنهم من إدراك خطورة المخدرات ورفضها بشكل داخلي نابع من القناعة، وليس فقط استجابة خارجية للمراقبة أو العقوبة.(16)

في ضوء ما سبق يمكن التأكيد على أن طبيعة العلاقة بين الأبوين والأبناء ليست مجرد عنصر من عناصر التربية، بل هي الإطار الحاسم الذي يتحدد من خلاله مدى نجاح الأسرة في تحصين أبنائها من المخدرات، وهذه العلاقة متى ما كانت قائمة على الاحترام والمحبة والحوار والثقة، كانت الحصن الأول في الوقاية، والملاذ الآمن في وقت الأزمات، والدافع الأقوى للابن كي يختار طريقًا سويًا مهما واجه من ضغوط أو إغراءات، وأما حين يغيب هذا الرابط أو يختل، فإن الوقاية الأسرية تُصبح مجرد شكليات لا تصمد أمام التأثيرات الخارجية، ولذلك فإن مسؤولية الأسرة لا تقتصر على توفير المأكل والمأوى، بل تتجسّد أولًا في قدرتها على بناء علاقة حقيقية مع الأبناء، علاقة تمنحهم القوة لا الخوف، والتوجيه لا السيطرة، والثقة لا الشك، علاقة تُغنيهم عن كل البدائل الزائفة، وتزرع فيهم القدرة على قول لا، حين تكون لا هي الطريق إلى النجاة.

ملخص النتائج:

أشارت نتائج الدراسة أن الأسرة تلعب دورًا جوهريًا في غرس القيم الدينية في نفوس الأبناء، حيث تسهم هذه القيم في بناء وعي داخلي وضوابط ذاتية تُشكل حصانة نفسية وأخلاقية ضد الانحرافات السلوكية، وعلى رأسها تعاطي المخدرات، فحين يتربّى الأبناء على تعظيم القيم الدينية كالصدق، والاعتدال، وصون النفس، فإنهم يكتسبون وعيًا أخلاقيًا يُمكّنهم من اتخاذ قرارات مسؤولة تحميهم من الوقوع في سلوكيات مدمّرة.

2-أظهرت نتائج الدراسة أن التربية الأخلاقية داخل الأسرة تُعد من المرتكزات الأساسية في تشكيل اتجاهات الأبناء وسلوكهم تجاه المخدرات، حيث تؤدي تنمية الضمير، وتحفيز المسؤولية الذاتية، وتعليم التمييز بين السلوك السوي والمنحرف، إلى

تقوية مناعة الأبناء السلوكية، وتدفعهم لرفض المخدرات ليس فقط بوصفها خطرًا صحيًا أو قانونيًا، بل باعتبارها انحرافًا أخلاقيًا يتنافى مع القيم التي نشأوا عليها.

3-بينت نتائج الدراسة أن فاعلية الأسرة في الوقاية من تعاطي الأبناء للمخدرات تتأثر بعدة عوامل أسرية، منها: مستوى الاستقرار الأسري، أسلوب التربية المتّبع، وعي الوالدين، ونمط التواصل داخل الأسرة، حيث تزداد الفاعلية الوقائية في ظل بيئة أسرية مستقرة، داعمة، وقادرة على توفير التوجيه والرعاية، بينما تضعف هذه الفاعلية في ظل التفكك، الإهمال، أو غياب التواصل الفعّال بين أفراد الأسرة.

4-أكدت نتائج الدراسة أن طبيعة العلاقة بين الأبوين والأبناء تُعد عاملاً حاسمًا في مدى قدرة الأسرة على تحصين أبنائها ضد المخدرات، إذ أن العلاقات القائمة على الثقة، والحوار، والاحتواء العاطفي، تُعزّز من قابلية الأبناء لتقبّل التوجيهات، وتُقوي مناعتهم الداخلية، في حين أن العلاقات المتوترة أو المتسلطة أو الباردة تُضعف الرابط التربوي، وتُفقد الأسرة قدرتها على التدخل الوقائي الفعّال.

التوصيات:

1-تعزيز دور الأسرة في غرس القيم الدينية لدى الأبناء من خلال تعليمهم مبادئ الدين بطريقة عملية ومحببة تُشعرهم بأهميتها في حياتهم اليومية.

2-العمل على تطوير برامج توعوية وتدريبية للوالدين تهدف إلى تمكينهم من ممارسة التربية الأخلاقية الإيجابية التي تبني وعيًا وقيميًا سليماً لدى الأبناء.

3-تشجيع الأسر على بناء علاقات أسرية متينة قائمة على الثقة والحوار المفتوح والاحترام المتبادل بين الوالدين والأبناء.

4-تعزيز الاستقرار الأسري والحد من عوامل التفكك مثل النزاعات المستمرة أو الطلاق، لما له من أثر مباشر على صحة نفسية الأبناء وسلوكهم.

5-توفير الدعم النفسي والاجتماعي للأسر التي تعاني من ضغوط اقتصادية أو اجتماعية، مما يساعدها على أداء دورها الوقائي بشكل أفضل.

6-نشر ثقافة الوعي بأخطار المخدرات بين أفراد الأسرة، وتعزيز قدرة الوالدين على متابعة سلوك أبنائهم وملاحظة أي علامات انحراف مبكرة.

7-تنظيم أنشطة ترفيهية وتعليمية ومجتمعية للأبناء بهدف استثمار أوقات فراغهم في بيئات صحية وبعيدة عن المخاطر.

8-تعزيز التعاون بين الأسرة والمؤسسات التعليمية والمجتمعية لتوفير بيئة متكاملة داعمة لتربية الأبناء ومساندة الأسرة في دورها الوقائي.

9-تشجيع الوالدين على استخدام أساليب تربوية مرنة ومتوازنة تجمع بين الحزم والرحمة بعيدًا عن التسلط أو الإهمال.
10-العمل على بناء برامج توجيهية مستمرة للأسر لرفع مستوى وعيها بمخاطر المخدرات وطرق التعامل مع الأبناء في حال وجود أي محاولات تعاطي.

بيان تضارب المصالح

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــش:

1-محمود عبد الفتاح، علم الاجتماع التربوي، ط2، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 2011م، ص 120.
2-محمد حسن أبو الخير، التربية الأسرية ودورها في تنشئة الطفل، ط1، عمان، دار الفكر الجامعي، 2010م ، ص 45.
3-محمد عبد الحافظ الدسوقي، التراث الديني في تعزيز القيم الاجتماعية، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، 2011م ، ص 56.
4-عبد الله سالم، الأخلاق والسلوك الإنساني، عمان،ط1، دار الحكمة،2016م ، ص 34.
5-أحمد عبد الرحمن الطحان، التربية الدينية وأثرها في بناء الشخصية، ط3، بيروت، دار النهضة العربية، 2011م ، ص 89.
6-عبد العزيز الزهراني، الوقاية من تعاطي المخدرات، أساليب واستراتيجيات، ط1، الرياض: دار الفكر المعاصر، 2017م ، ص 78.
7-علي محمد البغدادي، مدخل إلى الأخلاق الإسلامية، ط2، القاهرة، دار الشروق، 2014م ، ص 101.
8-سامي يوسف حماد، الإدمان وعلاجه: دراسة اجتماعية ونفسية، ط3، بيروت، دار المجد، 2012م ، ص123.
9-عبد الله محمد لعلي، دور الأسرة في الوقاية من تعاطي المخدرات وتأثير القيم الدينية في ذلك، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 2015م ، ص 130.
10-نادية أحمد محمد، التربية الأخلاقية وأثرها في سلوك الأبناء تجاه المخدرات، ط1، دار الثقافة للنشر، بيروت، 2017م ، ص 85.
11-سعيد بن محمد لحربي، العوامل الأسرية المؤثرة في الوقاية من المخدرات، مكتبة الرشد، الرياض، ط3، 2014م ، ص56.
12-فاطمة بنت أحمد الزهراني ، تأثير العلاقة بين الوالدين والأبناء على الوقاية من تعاطي المخدرات، ط1 ،دار المناهج، جدة، 2018م ، ص 144.

13-خالد بن عبد الرحمن العتيبي، الأسرة ودورها في تربية الأبناء على القيم الدينية، ط1، دار النهضة العربية، عمان، 2016م ، ص99.
14-سامي محمد الكيلاني، دور الأسرة في الوقاية من الانحرافات السلوكية، ط1، دار النهضة العلمية، دمشق، 2013م ، ص 67.
15-فوزية أحمد عبد الرحمن، الأسرة بين الاستقرار والتفكك وأثره على سلوك الأبناء، ط1 ، دار الفجر للنشر والتوزيع، بغداد، 2017م ، ص 150.
16-محمد عبد الله البكري، مفهوم العلاقة الوالدية وأثرها في التنشئة الاجتماعية، ط2، دار الفكر الحديث، القاهرة، 2015م